

مقياس النظريات السوسولوجية للتربية السداسي الثاني

المحاضرة رقم 1 التفاعلية الرمزية في التربية

مدخل

يتكون مصطلح التفاعلية الرمزية من شقين هما: التفاعل وهو الفعل الاجتماعي الموحد، والشق الثاني هو النظام الرمزي وأداة التفاعل، ويتفاعل ذلك عملية فهم الرمز انطلاقاً من مخزونه المعرفي عن المعاني والتصورات والمعتقدات...

أول من أطلق مصطلح التفاعل الرمزي هو العالم " هربرت بلومر " وكان يعني به الفعل الاجتماعي الموجه للحصول على استجابة من الآخرين، يؤدي إلى عملية التفاعل وهذا يعتمد على الخاصية الرمزية للعقل ضمن إطار عملية التفاعل والاتصال، والمتفاعلون لا يتبعون صفات اجتماعية ثقافية ثابتة، إنما يؤولون معنى للعقل والرمز، ولهذا لا تعتبر العمليات الاجتماعية والعلاقات وقواتها من بناءات اجتماعية ثقافية أشياء ثابتة، إنما عمليات دينامية متغيرة ومفتوحة.

تتساءل هذه النظرية حول علاقات التفاعل بين الفرد والآخرين ضمن ثقافة واحدة يتشاركون المواقف كإنتاج متشابه وفق عمليات التطبيع الاجتماعي. يرتبط هذا المدخل من الناحية النظرية بمنظور علم النفس الاجتماعي، من خلال إسهامات رواد هذا الاتجاه، على رأسهم جورج ميد، وبلوم، حيث سعى ميد إلى تحليل المواقف الاجتماعية وعمليات الاتصال الرمزي والغير الرمزي، إذ ربط بين قدرة الإنسان ذو الجنس البشري، وبنوعية التطور والتقدم في المجتمع الحديث عن طريق أنماط الاتصال الرمزي، خاصة اللغة التي تنظم السلوك الفردي والمجمعي، من خلال فهم وإدراك وتعقل البيئة أو العالم الفيزيقي والاجتماعي.

التفاعلية الرمزية وتحليل النسق التربوي:

بما أن هذا المدخل يركز على دراسة السلوك البشري بصورة عامة، معتمداً بذلك على الوحدات الصغرى منطلقاً منها لفهم الوحدات الكبرى؛ كونها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي، فقد كانت إسهامات علماء هذا الاتجاه في علم الاجتماع التربوية انطلاقاً من دراسة مشكلات وقضايا العملية التربوية وتحليل واقع المؤسسات التعليمية في المجتمع الحديث، حيث اعتمد هذا الاتجاه على المدخل التفسيري العام الذي تتميز به المنظورات الحديثة للبنائية

الوظيفية، والتي تؤيد في مجملها التركيز على دراسة المواقف الفعلية أو تحليل البناءات والنظم والمؤسسات التي تتم فيها أنماط التفاعل المختلفة.

اعتمادا على المدخل التفسيري، وانطلاقا من فكرتي التفاعل والرمزي يركز أنصاره على دراسة المدرسة باعتبارها تنظيما اجتماعيا أو بيئة رمزية لعدد من الأفراد أو الجماعات التي تشكل بنائها الرسمية والغير رسمية.

تركز أيضا على دراسة المواقف الفعلية و تحليل البناءات والنظم والمؤسسات التعليمية، التي تختلف فيها أنماط التفاعل وتتباين فيها مستويات السلوك الفردي والمجمعي، وتحليل أسس طبيعة الحياة اليومية أو المدرسية وفق عمليات تنسيق الاجتماعي، باختلاف المؤسسات التعليمية وأنواعها.

يركز أصحاب هذا الاتجاه على تحليل الصور الفعلية التي توجد داخل المؤسسات التعليمية، من خلال فكرة الفعل ورد الفعل.

غير ان رد فعل التلاميذ وسلوكهم وأدوارهم داخل المدرسة تختلف حسب استجاباتهم وتفاعلهم مع هذه الرسائل أو المهام، حيث يدرس أصحاب هذا الاتجاه تحليل الصورة الفعلية، التي توجد داخل المؤسسات التعليمية، من خلال تحليل العلاقة بين التلاميذ أو الطلاب ونوعية المؤسسة، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بين التلاميذ ومدرسيهم والإدارة المدرسية وتفسير السلوك الدراسي وانعكاساته على التنشئة الاجتماعية.

علاوة على تحليل مجموعة العوامل الداخلية التي تشكل أنماط السلوك، ونوعية الحياة المدرسية والثقافات العامة والفرعية داخل المدرسة يشير " شيبمان " إلى أن اهتمامات التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع التربوية تنظر للمدرسة من الخارج، كما فعل أنصار البنائية والصراع، حيث اهتمت بدراسة المواقف الداخلية التي تساعد على فهم وتقسيم العمليات العقلية التي تمارس داخل وخارج المدارس.

لم تهمل التفاعلية تأثير العوامل الخارجية التي تشكل الحياة التعليمية داخل الأبنية المدرسية، حيث توجد عوامل خارجية تشكل نوعية المواقف الاجتماعية، بالنسبة للتلاميذ والمؤسسة التربوية تأثير (البيئة الخارجية للمدرسة، التلميذ، المجتمع، المحلي، تأثير إيديولوجيا العامة للتنسيق المجتمعي الكبير...).

أما بالنسبة للدراسة والبحث الميداني فكثير من الدراسات التي تبنت المدخل التفاعلي في دراسة المدارس والفصول الدراسية، حيث استخدمت طرق البحث وجمع البيانات والأدوات المهنية المتعددة التي استخدمها أصحاب الاتجاه السيكولوجي في دراسة المواقف والعمليات التفاعلية والمشكلات المرتبطة بنوعية الوسط الاجتماعي.

ومن رواد التفاعلية الرمزية:

جورج هربرت ميد: (1863-1931)

يبدأ **ميد** بتحليل عملية الاتصال ويصنفها إلى نوعين (الاتصال الرمزي والاتصال غير الرمزي)، وبالنسبة للتفاعل الأول يؤيد **ميد** على استخدام الأفكار والمفاهيم، وبذلك تكون اللغة ذات أهمية بالغة بالنسبة لعملية الأوضاع لأنهم بواسطتها يتمكن الأفراد من:

- بتنظيم انطباعاتهم وفهم للعالم الاجتماعي الطبيعي.

- نقل هذا الفهم للآخرين الذين يدركون تلك اللغة.

- تطبيق ما كسبوه من فهم ذهني على المواقف الجديدة.

وعليه فإن النظام الاجتماعي هو نتاج الأفعال التي يصنعها أفراد المجتمع، يشير ذلك إلى أن المعنى ليس مفروضا عليهم، وإنما هو موضوع خاضع لتفاوض والتداول بين الأفراد.

هربرت بلومر: (1900-1986)

حمل فكر **ميد** عدة 25 سنة في جامعة شيكاغو، وتحمل الإسهامات الأساسية لبلومر في المنظور التفاعلي الرمزي، بعمله حول تفسير المقدمات المنطقية، الثلاثة للتفاعلية الرمزية البناء، العملية، المنهجية، حيث سعى بلومر لتوضيح كيف يستطيع البشر تفسير أفعالهم وفاعليتها في عملية تحليل الرموز والإشارات المتبادلة، متخذاً من التفاعل الرمزي مدخله لتحليل الإنسان بالاعتبار التفاعل سمة الكائنات البشرية. وقد كانت فرضيته الأساسية:

إن تهيئة الناس فردياً وجماعياً ثم بناء على المعاني الأساسية للموضوعات التي يتضمنها فاعليتهم، وبالتالي سلوكياتهم تتركز على المعاني الاجتماعية المتداولة بين الأفراد حول الأشياء، والأشياء عند بلومر ثلاثة أنواع تتمثل في (الأشياء الحيوية (مثل الاستغفار) والأشياء الاجتماعية (مثل الأدوار الاجتماعية التي يشغلها الأفراد) والأشياء المجردة (مثل المبادئ الأخلاقية).

وبالنسبة لدراسات الميدانية التي تبنت هذا المدخل فقد أثبتت الدراسات التربوية الحديثة تنوع وتعدد الدراسات والأبحاث التي اتخذت من الاتجاه التفاعلي الرمزي مدخلا لدراسة المدارس والمؤسسات التربوية بجميع مراحلها، مثل دراسات ويلارد ولتر والتي اعتبرت فيها المدرسة كعنصر اجتماعي عرفت هذه الدراسات بـ "سوسيولوجيا التدريس" وقد ركزت على الملاحظة والمقابلة في تحليل نتائجها الميدانية.

كذلك وفي السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من الدراسات التي ركزت على مدخل التفاعلي الرمزي مثل دراسة كل من أرون سيكروول و جون كيتسوت، حول صنع القرار التعليمي في الولايات المتحدة ، حيث استعملت المقابلة مع المستشارين في المدارس العليا للكشف عن عملية تصنيف الطلاب من حيث الأسباب والعوامل . الي غير من الأبحاث والدراسات في مجال علم اجتماع التربية الحديث والتي اعتمدت مجموعة من نتائج الدراسات والمسوح التي تبنت المدخل التفاعلي الرمزي، ومجموعة الأدوات وطرق الدراسة التحليلية التي تعتمد على المقبلات والملاحظة، والإحصائيات، والتقارير، والسجلات واختبار الذكاء والتحصيل ، وتحليل درجات النجاح وال فشل الدراسي، وغيرها من الموضوعات التي تكون التربية والتعليم محورها الأساسي.